نزعة الاستكبار في ضوء سورة الأعراف

Doi: 10.23918/ilic2020.55

عبد الله خالد فائز المدرس
جامعة صلاح الدين كلية التربية/ مخمور

المقدمة

الحمدلله الذي تفرد بالكبر على عباده، وخص به نفسه، والصلاة والسلام على خير البرية ومنقذها الذي ارشدنا الى مكارم الاخلاق، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أمّا بعد:

فإن التكبر مرض من الأمراض التي تصيب الصدور فتحول بينها وبين قبول الحق والإذعان له، ويجعل من الإنسان أنانيا إلى شخص لايرى إلا نفسه ويستحقر الآخرين، ومن طبيعة هذا المرض أنه يصيب كل أحد العالم والجاهل الصغير والكبير الغني والفقير، لذلك فهو مرض خفي خطير يؤدي بالإنسان إلى التهلكة.

وهذا الداء المميت له آثار ضارة على نفوس البشر، وعواقب مهلكة على الفرد وعلى المجتمع، فهو سبب لعدم تقبل الحق؛ لأن من يستشعر بهذا الداء لا يكون للحقائق طريقاً إلى قلبه، وخاصة الذين لديهم ضعف الوازع الديني.

وقد حذر القرآن والسنة النبوية حامل هذه الصفة المذمومة تحذيراً عظيماً بليغاً، وتهديداً صريحاً أكيداً للكبر وأهله بحرمان الهداية لعنادهم للحق وتكبرهم عليه، حيث قال تعالى فيهم: ﴿ سَأَصۡرِفُ عَنۡ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ وَإِن يَرَوۡاْ كُلَّ ءَايَةٖ لَّا يُؤۡمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلرُّشۡدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗا وَإِن يَرَوۡاْ سَبِيلَ ٱلۡغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلٗاۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنۡهَا غَٰفِلِينَ ١٤٦ ﴾ [الأعراف: ١٤٦].

أهمية البحث:

تتضح أهمية هذا البحث كونه ذو طابع انساني حيث لا ينبغي الإنسان الاتصاف بها؛ لان هذه الخصلة تقود الناس إلى الانحراف في العقل والسلوك ، فيجعلهم يعيشون في حالة من الفخر الزائف والخداع ، وهذا الداء لا يخلو منه كثير من البشر ولكن بنسب متفاوتة، لذا يبين البحث ان الكبرياء من خصائص الجبار سبحانه وتعالى. وهذا الداء لايمكن القضاء عليه إلاّ بالرجوع الى القرآن والسنة، فلابد من ارشاد الناس الى تقوية ايمانهم بالله سبحانه وتعالى ويوم الحساب الذى لاينجو منها احد، ثم ان معالجة هذه الظاهرة في ضوء القرآن والسنة النبوية امر ممكن معالجته والقضاء عليه حتى في المجتمعات الاخرى.

سبب اختيار البحث:

١- حبي وشغفي في دراسة القرآن الكريم، وأخترت صفة مذمومة واردة في القرآن في سورةٍ من القرآن الكريم الا وهي سورة الأعراف لتناولها خصلة الاستكبار بغزارة .

٢- أصبحت هذه الخصلة تشكو منها كثير من الناس، لما لها من خطر على الفرد والمجتمع.

٣- حازت هذه الخصلة اهتمام كل الناس نظرا لتاثيرها السلبي، وتعالت النداءات إلى إدانتها والحد من انتشارها والمحاولة لاجتثاثها.

٤- اردت تسليط الضوء على هذه الصفة الخطيرة التي تفشت في الناس، وكثر تأثيرها.

الهدف من البحث:

١- بيان أن الكبر له خطر على المجتمع لا بد من اجتنابه.

٢- هذه الخصلة تؤدي إلى انتشار الفوضى في المجتمع.

٣- التواضع في المجتمع له دور أساسي لعلاج هذا الداء.

٤- التمسك بمبادئ الشريعة الإسلامية الحنيفة لتقوية الوازع الديني.

منهجي في البحث:

أولاً: كتابة الآيات القرآنية، فذكرت اسم السورة ، ورقم الآية ، وقد حرصت على نقل الآيات برسمها العثماني.

ثانياً: تخريج الأحاديث الواردة في كتب الصحاح، والسنن، والمسانيد، والمصنفات.

ثالثاً:أعتمدت في كتابة هذا البحث المتواضع على جمع ونقل المعلومات من المصادر والمراجع المعتمدة في هذا الشأن، وبعض مقالات من الانترنيت لإكمال هذا البحث.

رابعاً: في الهامش ذكرتُ اسم الكتاب ورقم الصفحة، وإن كانت مقالة في الانترنيت ذكرت اسم المقالة، مشيرا إلى اسم الموقع.

خامساً: اشرت بالمصادر والمراجع التي اعتمدت عليها من حيث ذكر الكتاب، واسم المؤلف، ومكان النشر وداره، وسنة النشر مفصلة.

خطة البحث:

اقتضت طبيعة البحث والمادة المجموعة له تقسيمه على ثلاثة مباحث، يسبقهما مقدمة، مع الخاتمة، ثم ذكرت قائمة لبيان أهم المصادر والمراجع التي استخدمتها.

والخطة كالآتي:-

المبحث الاول: مفهوم الأستكبار وأنواعه، وصفات المستكبرين.

المطلب الاول: مفهوم الأستكبار .

المطلب الثاني: أنواع الكبر.

المطلب الثالث: صفات المستكبرين.

المبحث الثاني: ذكر الآيات التي جاءت في سورة الاعراف عن الأستكبار، وأسبابه، وآثاره.

المطلب الاول: ذكر الآيات التي جاءت في سورة الاعراف عن الأستكبار.
المطلب الثاني: أسباب الأستكبار.
المطلب الثالث: حكم الأستكبار.
المطلب الرابع: آثار الأستكبار على الفرد و المجتمع.

المبحث الثالث: عواقب الأستكبار ، وطريقة التجنب منها.

المطلب الاول: العواقب في الدنيا.
المطلب الثاني: العواقب في الأخرة.
المطلب الثالث: كيفية التجنب من الاستكبار.

وختاماً أرجو أن أكون قد أعطيت الموضوع حقه، وما كان من صواب فمن الله وما كان من خطأ أو زلة فمني ومن الشيطان. ومن الله التوفيق.

المبحث الاول: مفهوم الاستكبار وأنوعه، وصفات المستكبرين.

اقتضى هذا المبحث تقسيمه الى ثلاثة مطالب تناول المطلب الأول مفهوم مصطلحي النزعة والاستكبار من حيث اللغة والاصطلاح، نوضح في المطلب الثاني أنواع التكبر، ونأتي للكلام في المطلب الثالث عن بيان صفات المستكبرين.

المطلب الاول: مفهوم النزعة و الاستكبار

أولاً: النزعة لغة، واصطلاحاً.

أ-النزعة لغة: النزعة جمع نَزَعات ونَزْعات، وهي من نَزَعَ لا انتزع فالنزع تحويل الشيء والميل به عن موضعه، والانتزاع الاستلاب والاقتلاع[١].

ب- النزعة اصطلاحا: وهو الميل والاتجاه الفطري أو النفسي إلى شيء ما، ومنه النَّزْعة الإنسانيّة: وهي ميل إلى معاملة الناس معاملة إنسانيّة وإلى صنع الخير لهم، محبّة الخير العامّ،والنزعة الغريزية وهي الرغبة التي تدفع المرء إلى ما يمكن أن يقضي حاجاته ويُرضي غرائزه، وميوله الطبيعيّة،ومنه النزعة القتالية:وهي ميل شديد إلى القتال[٢].

ثانياً: الاستكبار لغة، واصطلاحاً.

أ- الاستكبار لغة:

الاستكبار من الكبر، وهو مأخوذ من مادّة (ك ب ر) الّتي تدلّ على خلاف الصّغر. قال ابن فارس:" الْكَافُ وَالْبَاءُ وَالرَّاءُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الصِّغَرِ"[٣]. وقال ابن منظور : "الكِبَرُ نَقِيضُ الصِّغَرِ، وكَبُرَ بِالضَّمِّ يَكْبُر أَي عَظُمَ"[٤]. وفي الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية "الكِبَرُ في السنّ وقد كَبِرَ الرجل يَكْبَرُ كِبَراً، أي أسن، وكَبُرَ بالضم يَكْبُرُ، أي عَظُمَ "[٥].

أمّا صيغة استكبر فهي أشتقاق من كبر علي وزن استفعل بزيادة الالف والسين والتاء وهذه الصيغة من (تكبر) حيث إن استفعل تأتي في أحد معانيها موافقة لـ (تَفَعَّلَ) [٦]، قال أبو حيان" الِاسْتِكْبَار وَالتَّكَبُّر: وَهُوَ مِمَّا جَاءَ فِيهِ اسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى تَفَعَّلَ"[٧]؛ لأن الخماسي على وزن (تفعّل) يأتي للدلالة على تكلف الكبر، ويأتي السداسي على وزن (استفعل) للدلالة على الإسراف والمبالغة في التكبر[٨]. إذاً التَّكَبُّر والاسْتِكْبار: التّعظّم، وكِبْرُ الشّيء مُعْظَمُهُ، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ ﴾ [النور: ١١] أي معظم أمره[٩].

وقال ابن منظور في الكبر هي:" الرِّفْعَةُ فِي الشَّرَفِ ، وقيل:هي عبارة عن كمال الذّات ولا يوصف بها إلّا الله تعالى. يقال: تكبّر، واستكبر،وتكابر"[١٠].

"والْكِبْرُ والتَّكَبُّرُ والِاسْتِكْبَارُ تتقارب، فالكبر الحالة التي يتخصّص بها الإنسان من إعجابه بنفسه، وذلك أن يرى الإنسان نفسه أكبر من غيره. وأعظم التّكبّر التّكبّر على الله بالامتناع من قبول الحقّ والإذعان له بالعبادة"[١١].

وقال صاحب روح المعاني- رحمه الله-:" أصل الاستكبار طلب الكبر من غير استحقاق، لا بمعنى طلب تحصيله مع اعتقاد عدم حصوله، بل بمعنى عد نفسه كبيرا واعتقاده كذلك. وإنما عبّر عنه بما يدل على الطلب للإيذان بأنّ مآله محض الطلب بدون حصول المطلوب"[١٢].

---

(١) ينظر: المحكم لابن سيده،:١/ . ٥٢٤ ، معجم اللغة العربية المعاصرة :٣/ ٢١٩٤- ٢١٩٥.
(٢) ينظر: معجم اللغة العربية المعاصرة :٣/ ٢١٩٤- ٢١٩٥.
(٣)مقاييس اللغة : ٥/ ١٥٣. مادة (كبر).
(٤)لسان العرب: ٥/ ١٢٦ .
(٥) ٢/ ٨٠١ .
(٦)ينظر: مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم:٢٥-٢٦.
(٧)البحر المحيط في التفسير: ٢٤٥/١.
(٨)ينظر: أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية: ٢٩١.
(٩)ينظر: لسان العرب: ٥/ ١٢٨ .
(١٠)المصدر نفسه:٥/ ١٢٩، ١٣٠.
(١١)المفردات في غريب القرآن: ٦٩٧.
(١٢)روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: ٢١٥/٣.

ب- الاستكبار اصطلاحاً:

مما سبق من بيان الجانب اللغوي للاستكبار تبين لنا ان الاستكبار بصفة عمومية هو مذموم، وهو كله بغير حق، خاصة إذا كان استكبارا على الإذعان للخالق. وجاء تعريفه في حديث النبي-ﷺ-فقد قال: (**الْكِبْرُ بَطَرُ**[١] **الْحَقِّ، وَغَمْطُ**[٢]**النَّاسِ**) [٣].

وعرف الإمام الغزاليّ:- رحمه الله- الاستكبار بأنه هو: " استعظام النّفس، ورؤية قدرها فوق قدر الغير"[٤].

وقال الراغب- رحمه الله-عند تعريف الاستكبار: " والاستكبار يقال على وجهين:أحدهما: أن يتحرى الإنسان ويطلب أن يصير كبيرا، وذلك متى كان على ما يجب وفي المكان الذي يجب وفي الوقت الذي يجب فمحمود. والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له، وهذا هو المذموم، وعلى هذا ما ورد في القرآن"[٥].

ما ذهب إليه الراغب- رحمه الله- في تعريفه للاستكبار بغير حق هو من يظهر من نفسه ما ليس له ويتكلف في ذلك، أما من يظهر حقيقة ميزاته من أفعاله الحسنة وزائدة على غيره كما وصف الله تعالى نفسه ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ ﴾ [الحشر: ٢٣]، فذلك هو الحق الذي يجعل الاستكبار محمودا، فمن وصف بالأول فمذموم، وأما الثاني فهو محمود.

إذاً الاستكبار هو: "الامتناع عن قبول الحق معاندة وتكبرا"[٦]، مع الأعجاب بنفسه بصورة تحتقر الآخرين، فيتمرد على القوانين و الشرائع العقلية و الاجتماعية.

أما في اصطلاح القرآن الكريم، وهو" الاستكبار إحساس وهمي بالعظمة، يوصف بها الشيطان والإنسان، يدفعهما إلى الامتناع لقبول دعوة الله عزّ وجلّ"[٧].

اذا معنى نزعة الاستكبار كمصطلح تأتي بمعنى: تحويل ما شأنه التواضع إلى نقيضه وهو الكبر، فنزعة الاستكبار ميل قلب الإنسان إلى التعاظم والتفاخر والتكبر بحيث لا يقبل الحق ويحقره. فنزعة الاستكبار انجذاب الصدر وميله إلى التكبر، فيظهر ذلك في ملامحه الخارجية وأفعاله وأقواله[٨].

المطلب الثاني: أنواع الكبر

الكبر شعور خادع بالاستعلاء على الوحي السماوي، وكفر بآلاء الله تعالى وجحود لنعمائه، وهذه الصفة المذمومة إما انفعالات داخلية أساسا في نفس الإنسان، أو صادرة عن الجوارح وهي ثمرات لما في نفس الإنسان، وعلى هذا فالإنسان عندما يتكبر على المقابل يستدعي أن تتوفر ثلاثة أشياء صفة التكبر، والمتكبر عليه، وسبب التكبر[٩]، فهو لا يخلو إمّا أن يكون تكبره تارة على الخالق، وتارة على الأنبياء، وتارة على العباد؛ فهذه أنواع ثلاثة بعضها أشدّ من بعض.

النوع الأول التكبر على الله :

الكبرياء صفة من صفات الله لا ينبغي لغيره أن ينازعه فيها، وتصل بصاحبها إلى الكفر،وهو أفحش أنواع الكبر، وينتج عن تشبع القلب بالطغيان، ويظهر ذلك واضحاً جلياً في القرآن الكريم من مواقف المتكبرين، وعلى رأسها موقف فرعون من دعوة موسى، قال تعالى:﴿ وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذۡتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٖ لَّا يُؤۡمِنُ بِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾[غافر: ٢٧]؛ وذلك لأن نبي الله موسى-عليه السلام-دعاه إلى الهدى فاستكبر، وقال لقومه:﴿ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ ﴾[النازعات: ٢٤ –٢٥]،وكذلك موقف نمرود[١٠].

والكبرياء من خصائص الجبار سبحانه وتعالى كما ورد في الحديث القدسي: (**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**) [١١].

النوع الثاني: التكبر على الرسل -عليهم الصلاة والسلام-:

قد حفل القرآن الكريم بصور شتى من التكبر على الرسل-عليهم الصلاة والسلام-، وخصوصاً تكبر اليهود على أنبيائهم فالتكبر عليه سببه ترفع النفس على الانقياد للبشر مثل سائر الناس على الرسل وذلك التكبر يصرف بصحبه عن الفكر والاستبصار، فيبقى في ظلمة الجهل بكبره، ويمتنع عن الانقياد وهو ظان أنه محق فيه. وتارة يمتنع مع المعرفة، ولكن لا تطاوعه

---

[١]البطر: وهو أن يَجعل الحق باطلاً. غريب الحديث لابن الجوزي: ٧٦/١.

[٢]الغمط: الاستهانة والاستحقار. النهاية في غريب الحديث والأثر:٣٨٧/٣.

[٣]أخرجه الإمام مسلم في صحيحه:٩٣/١، كتاب الإيمان، بَابُ تَحْرِيمِ الْكِبْرِ وَبَيَانِهِ، رقم الحديث: (١٤٧).

[٤]إحياء علوم الدين: ٣٥٣/٣.

[٥]المفردات في غريب القرآن: ٦٩٧.

[٦]لسان العرب لابن منظور:٥/ ١٢٩، ١٣٠.

[٧]مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم:٢٧.

[٨]ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر:٥/ ٤١. بتصرف.

[٩]ينظر: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم-ﷺ-: ٥٣٥٣/١١-٥٣٥٤.

[١٠]ينظر: إحياء علوم الدين :٣/ ٣٤٥، مدارج السالكين: ١٨٨/١، الزواجر عن اقتراف الكبائر:١١٨/١.

[١١]أخرجه الإمام مسلم في صحيحه:٢٠٢٣/٤، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم الكبر، رقم الحديث: (٢٦٢٠)، وأبو داود في سننه: ٥٩/٤، كتاب اللباس، باب ماجاء في الكبر، رقم الحديث: (٤٠٩٠).

نفسه للانقياد للحق والتواضع للرسل كما حكى الله قولهم﴿ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا ﴾[المؤمنون: ٤٧]{وقولهم}﴿ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾[إبراهيم: ١٠]،﴿ وَلَئِنْ أَطَعْتُم بَشَرًا مِّثْلَكُمْ إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴾[المؤمنون: ٣٤] (١).

فالتكبر على المرسلين-عليهم الصلاة والسلام-أخبر النبي-ﷺ-في حقهم أن ذلك من صفات أهل النار، قال رسول اللهِ -ﷺ- **(احْتَجَّتْ النَّارُ وَالْجَنَّةُ فقالت هذه يَدْخُلُنِي الْجَبَّارُونَ وَالْمُتَكَبِّرُونَ وَقَالَتْ هذه يَدْخُلُنِي الضُّعَفَاءُ وَالْمَسَاكِينُ فقال الله عز وجل لِهَذِهِ أَنْتِ عَذَابِي أُعَذِّبُ بِكِ من أَشَاءُ وَرُبَّمَا قال أُصِيبُ بِكِ من أَشَاءُ وقال لِهَذِهِ أَنْتِ رَحْمَتِي أَرْحَمُ بِكِ من أَشَاءُ وَلِكُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْكُمَا مِلْؤُهَا)** (٢).

النوع الثالث: التكبر على العباد:

"وذلك بأن يستعظم نفسه ويحقر غيره، فتأبى نفسه عن الانقياد لهم، وتدعوه إلى الترفع عليهم، فيزدريهم ويستصغرهم، ويأنف من مساواتهم"(٣). وهذا وإن كان دون الأول والثاني، لكنه عظيم من وجهين:

أحدهما: أن الكبر والعز والعظمة والعلا لا يليق إلا بالملك القادر، فأمّا العبد المملوك الضعيف العاجز الذي لا يقدر على شيء فمن أين يليق بحاله الكبر؟.

فمهما تكبر العبد فقد نازع الله تعالى في صفة لا تليق إلا بجلاله كما قال سبحانه وتعالى: **(الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ)** (٤)، وإذا كان الكبر على عباد الله لا يليق إلا بالله، فمن تكبر على عباده فقد جنى عليه، فالذي يسترذل خواص الملك ويستخدمهم ويترفع عليهم، ويستأثر بما هو حق الملك وحده فهو منازع لله في بعض أمره.

الثاني: أن ذلك يدعو العبد إلى مخالفة الله في أوامره؛ لأن المتكبر إذا سمع الحق من عبد من عباد الله استنكف عن قبوله، وتشمّر لجحده، كما تكبر إبليس على آدم فقال أنا خير منه، فحمله هذا الكبر على الامتناع عن السجود الذي أمره الله تعالى به.

وكان مبدؤه الكبر على آدم والحسد له،فجره ذلك إلى التكبر على أمر الله تعالى، فكان ذلك سبب هلاكه أبد الآباد كما قال الله:

﴿ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾[الحجر: ٣٤ - ٣٥] (٥).

المطلب الثالث: صفات المستكبرين

مما سبق في التعريف للاستكبار تبين لنا أنها صفة يرى صاحبها نفسه كبيراً ومعانداً، فيتمرد على كل الشرائع والقوانين، لهذا تعد هذه الصفة من أقبح الخصال البشرية،ومن الرذائل التي لا ينبغي للإنسان الاتصاف بها، ومن هنا سنحاول الإشارة بنقاط لبيان صفات المستكبرين باختصار غير مخل.

أولاً: استعظام النفس.

إن المتكبر يعيش في حالة يشعر بالتسامي والرفعة على الآخرين مما ينجر به في نهاية المطاف إلى السعي للتصدر والتربع على رأس الهرم، وأن على سائر الناس الانحناء أمامه والخضوع لقيمه وسلطانه، والتسليم لاوامره، فالشعور بهذه العظمة -وهوصغير-يخلق له الوجود الوحيد في الساحة متمردا على كل القيم الجميلة، فلا يرى نفسه أبداً بحال من الأحوال بمستوى الناس.

وقد حذر الله عزّ وجلّ من كان في قلبه الشعور بهذه الصفة الرذيلة فقال تعالى: ﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴾ [فصلت: ١٥] (٦).

" وهذا الاستكبار فيه وجهين:

الأول: إظهار النخوة والكبر، وعدم الالتفات إلى الغير.

والثاني: الاستعلاء على الغير واستخدامهم ، ثم ذكر تعالى سبب ذلك الاستكبار وهو أنهم قالوا:﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾ وكانوا مخصوصين بكبر الأجسام وشدة القوة ، ثم إنه تعالى ذكر ما يدل على أنه لا يجوز لهم أن يغتروا بشدة قوتهم ، فقال:﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ﴾ يعني أنهم وإن كانوا أقوى من غيرهم، فالله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة ، فإن كانت الزيادة في القوة توجب كون الناقص في طاعة الكامل ، فهذه المعاملة توجب عليهم كونهم منقادين لله تعالى ، خاضعين لأوامره ونواهيه"(٧).

وقال الرسول -ﷺ- **(لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ)** (٨)، وقال الإمام الغزالي -رحمه الله- : "وَإِنَّمَا صَارَ حِجَابًا دُونَ الْجَنَّةِ لِأَنَّهُ يَحُولُ بَيْنَ الْعَبْدِ وَبَيْنَ أَخْلَاقِ الْمُؤْمِنِينَ كُلِّهَا وَتِلْكَ الْأَخْلَاقُ هِيَ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ وَالْكِبْرُ وَعِزَّةُ النَّفْسِ يغلق تلك الأبواب كلها لأنه لا يقدر على أن يحب المؤمنين ما يحب لنفسه"(٩).

---

(١)ينظر: إحياء علوم الدين:٣/ ٣٤٦، موسوعة فقه القلوب :٤/ ٣١١١.

(٢)أخرجه الإمام مسلم في صحيحه:٢١٨٦/٤، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب بَاب النَّارُ يَدْخُلُهَا الْجَبَّارُونَ وَالْجَنَّةُ يَدْخُلُهَا الضُّعَفَاءُ ، رقم الحديث: (٢٨٤٦).

(٣)الزواجر عن اقتراف الكبائر:١١٨/١.

(٤)سبق تخريجه.

(٥)ينظر: موسوعة فقه القلوب :٤/ ٣١١١.

(٦)ينظر: أحياء علوم الدين: ٣٥٤/٣، وتزكية الأنفس: ٢٠٠ وما بعدها.

(٧)التفسير الكبير :٢٧/ ٩٧.

(٨)أخرجه مسلم في صحيحه: ٩٣/١، كتاب الإيمان، باب تحريم الكبر، رقم الحديث: (٩١).

(٩)أحياء علوم الدين: ٣٤٤/٣.

ثانياً الاستبداد بالرأي.

النتيجة الطبيعة لصفة الاستبداد هو الاستكبار والتعالي على الآخرين فكثير ما نجد من المتكبرين عدم قبول آراء الآخرين، حيث يعتقدون وجازمين أنهم دوما وأبدا على حق، ويثقل عليهم قبول الحق، وأشار سبحانه وتعالى إلى هذه الحقيقة على لسان نبينا نوح -عليه الصلاة والسلام- حيث قال تعالى: ﴿ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾ ﴾ [نوح: ٧]. وهم مستنكفين عَنِ اتِّبَاعِ الْحَقِّ، وَالِانْقِيَادِ لَهُ، وأنهم يتصدون للحق ويقفون بوجهه ويمنعون من انتشاره بكل ما اتوه من قوة[(١)]، قال تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الصافات: ٣٥ - ٣٦].

ثالثاً: الاستهانة بالآخرين أو استحقار آراء الآخرين.

وقد مر بنا بيانه بأنه غمط الناس: أي احتقارهم وازدراؤهم[(٢)]، وهذا إنما ينشأ عند أهل النقص والدناءة، فيريدون تعويض ذلك بإظهار ما ليسوا بأهله،وحينئذ ينشأ الكبر عندهم ولهذا جاء توجيه النبوي حيث قال-ﷺ- (**إِنَّ اللهَ أَوْحَى إلي: أَنْ تَوَاضَعُوا حتى لَا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ ولا يَبْغِ أَحَدٌ على أَحَدٍ**) [(٣)]. فحامل هذه الصفة يتجاهل إنجازات الآخرين وايجابياتهم، ويحاول التقليل منها، وتصغير قدرهم، والتصوير بأنهم اقل منه صفة من صفات الغرور والكبر،ولا يوجد الا في النفوس الضعيفة الخالية من المعاني الإنسانية، قال تعالى مخاطبا لأهل الإيمان ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾[الحجرات: ١١]،ومع هذه الصفة التي يتصف بها هولاء أنهم كاذبون بعيدون عن الصدق والأمانة، وقد رصد القرآن الكريم تلك الصفة الذميمة عندهم كما ورد في قوله تعالى:﴿ ....أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة: ٨٧][(٤)].

رابعاً: نكث العهود.

وخصلة أخرى من خصال المتكبرين هو عدم التزامهم بالعهود فلا تجد لهم عهدا ولا التزاما بوعد قطعوه على أنفسهم، وهذه الصفة اشارت إليه القرآن الكريم بأن السبب الرئيسي وراء نكث اليهود للعهود هو عدم التزامهم بالمواثيق، وهذه يكمن في خصلة الاستكبار والتكبر التي يتحلون بها، قال تعالى﴿ وَأَقْسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا ﴿٤٣﴾ ﴾[فاطر: ٤٢ – ٤٣][(٥)].

خامساً: قتل الانبياء والمؤمنين:

وهذه صفة أخرى اتصف بها كافة المستكبرين فقد حفل القرآن الكريم بذكر قتل الأنبياء (عليهم الصلاة والسلام) على مر الزمن، وغيرهم من الخلق الذين يعارضونهم بشتى صور التكبر، و هذا ما تجده صريحا في هذه الآية المباركة حيث قال تعالى: ﴿...أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [البقرة: ٨٧].

سابعا: الاضلال:

وهذه الخصلة أشار إليها القرآن الكريم حيث قال تعالى مشيرا إلى صفة المستكبرين الذين سعوا في إيقاع أهل الأدنياء في أنواع الضّلالات: ﴿ وَإِذْ يَتَحَآجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴾ [غافر: ٤٧] [(٦)].

المبحث الثاني: ذكر الآيات التي جاءت في سورة الاعراف عن الأستكبار، وأسبابه، وآثاره.

من خلال هذا المبحث بعون الله تعالى نعرض الآيات الواردة في سورة الأعراف،ومن ثمّ تأتي الكلام عن أسباب التكبر،بعد ذكر تلك الأسباب نذكر آثار هذ المرض الخطير،و من ثم نبين حكم التكبر، فقسم المبحث على أربعة مطالب.

المطلب الأول: الايات الواردة في سورة الاعراف عن الاستكبار

الآيات التي وردت في شأن المستكبرين في سورة (الأعراف) تصل إلى (تسع آيات)، وقد تناولت السورة آيات الاستكبار من الجوانب الآتية:-

-أ- آيات الكبر المسبب للإعراض عن الطاعة:

---

(١)ينظر: تفسير ابن كثير:٨/ ٢٣٢.

(٢)ينظر: النهاية في غريب الحديث والآثر:٣٨٧/٣.

(٣)أخرجه مسلم في صحيحه: ٢١٩٨/٤، كتاب الجنة وصفة ..، بَاب الصِّفَاتِ التي يُعْرَفُ بها في الدُّنْيَا ...، رقم الحديث: (٢٨٦٥).

(٤)ينظر: المسائل في أعمال القلوب: ٥٥ وما بعدها،

(٥)ينظر: موسوعة فقه القلوب:٤/ ٣١١٥ .

(٦)ينظر: تفسير القرطبي: ٣٧٧/٨، تفسير الوسيط للزحيلي: ٣/ ٢٢٧٧،قصص الأنبياء، ابن كثير، ٧٥/٢.

١-﴿ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِ ۚ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ
بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا
تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴾ .

٢-﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۗ قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ ۖ قَدْ جَاءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ فَأَوْفُوا
الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ
﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا ۚ وَاذْكُرُوا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا
فَكَثَّرَكُمْ ۖ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِن كَانَ طَائِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَائِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا
حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا ۚ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾ ۞ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي
مِلَّتِنَا ۚ قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾

٣- ﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ
يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ
﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

٤-﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا
وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

ب- الانذار بالعذاب للمستكبرين:

٥-﴿ يَا بَنِي آدَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي ۙ فَمَنِ اتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا
أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ .

٦- ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي
الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ ﴾

ج- ترتب العقوبة على الكبر:

٧- ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ ۖ
قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾

٨- ﴿ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ ۚ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ ۚ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ۚ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ ۞ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ
أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهَٰؤُلَاءِ
الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ۚ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ ﴾ .

هـ- مدح التواضع وعدم الكبر:

٩- ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ
عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢٠٦﴾ ﴾ .

المطلب الثاني: أسباب التكبر

من المعلوم لدى الجميع أن القرآن وحدة متكاملة فعند تناولنا لآيات الكبر في سورة الأعراف سنعرج إلى آيات عديدة في سور أخرى لتكون الصورة أوضح، ولدى تأملنا للآيات الواردة في شأن الاستكبار وأهله تبين لنا أنّ أسباب التكبر ذاتية تنبع من نفس المتكبر ويظهر ذلك في ملامحه الخارجية وأفعاله وأقواله. ويمكن حصره في الناقط التالية:

أولاً: الاستغناء بغير الحق:

تتنامى هذه الرغبة حتى يصل به الحال إلى التمرد على طاعة الله، الذي بيده مقاليد السموات والأرض، وهو على كل شيء قدير. ومع هذه الرغبة يأتي شعور المستكبر باستغنائه، فيتولد منه الطغيان. ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ ۝٧ ﴾ [العلق: ٦ - ٧] [1].

لقد مرّ بنا ذكر آيات الكبر المسبب للإعراض عن الطاعة، لقد كفر وأعرض عن طاعة الله سبحانه وتعالى أشراف وسادات وزعماء قوم صالح -عليه السلام-بعدما أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بنعم كثيرة من نحتهم للجبال وقوتهم[2]. وايضا قوم شعيب-عليه السلام-وهم لم يؤمنوا به ولم يوحدوه بعد أن منّ الله عليهم إذ كانوا قليلوا المال والرجال والسّطوة، فكثّرهم الله تعالى بعد قلّة، وأغناهم ايضا بعد فقر، ومنحهم القوة والجاه بعد الضعف والمذلّة[3]. وفرعون وقومه لم يؤمنوا بموسى-عليه السلام-، فأنزل الله عليهم المحن؛ لأنهم كانوا يقدمون على ما يزيد في كفرهم ومعصيتهم بعدما جاءتهم الحسنة من العشب والخصب والثمار والمواشي والسعة في الرزق والعافية والسلامة[4]. ولكن تكبروا وتعود نزعة استكبارهم وعتّوهم أنهم كانوا ينظرون إلى مصالحهم الشخصية؛ وبيان ذلك في النقاط التالية:

١- وصف الملأُ من قوم صالح بالاستكبار لتفاخرهم وتكبرهم على كافة قومهم وإستذلالهم إياهم مع التنبيه على إنَّ الذين آمنوا بما جاءهم هم ضعفاء قومه فالاستفهام على معنى الاستهزاء والاستخفاف؛ لأنَّهم استعبدوهم، فزعامتهم قائمه على السياده الدنيويه، فوصفهم حالُ من الفضيله لذا اطلق على الملأ استكبروا، وذلك:

أ- لأنهم استكبروا عن أمتثال أمر ربهم قال الفخر الرازي -رحمه الله- " وَفِي قَوْلِهِ: عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَجْهَانِ. الْأَوَّلُ: مَعْنَاهُ اسْتَكْبَرُوا عَنِ امْتِثَالِ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَذَلِكَ الْأَمْرُ هُوَ الَّذِي أَوْصَلَهُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ عَلَى لِسَانِ صَالِحٍ -عَلَيْهِ السَّلَامُ- وَهُوَ قَوْلُهُ: (**فَذَرُوها تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ**)[الأعراف: ٧٣]. الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ الْمَعْنَى وَصَدَرَ عُتُوُّهُمْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ، فَكَأَنَّ أَمْرَ رَبِّهِمْ بِتَرْكِهَا صَارَ سَبَبًا فِي إِقْدَامِهِمْ عَلَى ذَلِكَ الْعُتُوِّ"[5].

ب- لأن استكبارهم تُولدُ من كثرة المال والجاه، فبين الله تعالى أن كثرة المال والجاه حملهم على التمرد، والإباء والإنكار، والكفر، وعلى العامة استضعفوا، وإنما يحصل من قلتهما، وهذا فعلا ليس صادرا عنهم بل عن المستكبرين وهذا الوصف لايكون ذم في حق المؤمنين بل الذم عائد إلى الذين يستحقرونهم ويستضعفونهم[6].

٢- قوم شعيب لم يؤمنوا برسالته؛ لأن حالتهم النفسية والروحية كانت مربوطة بأنواع من الفساد الذي ينمو به مالهم من عدم ايفائهم بالكيل والميزان وأكلهم أموال الناس بالباطل، وكانوا ينقصون من حق الناس من حقوقهم المادية والمعنوية، ويحتقرونهم بعد ما ما جائتهم آية بينة واضحة من الله سبخانه وتعالى حيث تميّزت رسالته الإصلاحية الاجتماعية بمميزات كثيرة أولاً بعبادة الله ونهاهم عن عبادة غيره، ثانياً: تصديق نبوته، ثالثاً: الوفاء بالكيل والميزان، رابعاً: عدم البخس والتنقيص بجميع الوجوه، خامساً: عدم نشر الفساد في الإرض بعد إصلاحها[7].

٣- فرعون وملائهُ لم يؤمنوا بموسى أيضاً بعدما أُنْزل عليهم الآيات، ولكن كانوا مصرين على تمردهم ولم يرجعوا إلى الانقياد والعبودية؛ لأن فرعون عندما أرسل الله موسى-عليه السلام- إليه وخص بالذهاب إليهم؛ لأن نزعة التكبر كان لدى فرعون؛ لأنه ادَّعى الإلهيةَ، وكان متبوعا فذكرهُ أولى، قال تعالى:﴿ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ [النازعات:١٧] [8]، وأمر آخر أن فرعون وملائه الذين يتصدرون المجالس أتهموا موسى(عليه السلام) بالسحر؛ لأنهم كانوا يملكون فكرة عن السحر بدليل قوله تعالى ﴿ قَالَ ٱلۡمَلَأُ مِن قَوۡمِ فِرۡعَوۡنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ۝١٠٩ ﴾ [الأعراف: ١٠٩] وآية أخرى جاءت بالقول على لسان فرعون﴿ قَالَ لِلۡمَلَإِ حَوۡلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٞ ۝٣٤ ﴾ [الشعراء: ٣٤] ، لأن السحر آنذاك كان منتشراً بينهم، واستكبارهم على موسى نكبة جاءت عليهم ولمن حوله الذين يوافقونه في إتهام موسى -عليه السلام-في أنه يريد أن يخرج الناس بسحره من أرضهم؛ لكي يصرف الناس الذين رأوا معجزات موسى عن الإيمان والاقتناع به وأنه رسول رب العالمين، ثم أن فرعون ومن معه له هدف هو تهييج الناس وإثارتهم؛ لأن فرعون أقنع الناس أنه إله، فمجيء القول ﴿ فَمَاذَا تَأۡمُرُونَ ﴾[الأعراف: ١١٠]، يشعر أن فرعون قد أدرك ان مكانته قد انحطت وأنه نزل كبريائه وغطرسته، بعدما أنهدم موسى-عليه السلام- ألوهيته ومكانته أمام الناس بمعجزات الله سبحانه وتعالى[9]، ثم أنّ موسى -عليه السلام-بعد مخاطبته لفرعون وملائه لهدايتهم واتتهم نعم كثيرة من عند الله سبحانه وتعالى كما حكى عنهم ﴿ فَإِذَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦۖ ﴾أسندوا الحسنات وحوادث هذا العالم إلى أنفسهم لا إلى الله تعالى وقضائه وقدره،

[1] ينظر: مفسدات القلوب، محمد صالح المنجد، الرياض- السعودية، دار العبيكان، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م، ٣٥١.
[2] ينظر: التفسير المنير: ٢٨٨/٨.
[3] ينظر: التفسير الوسيط: ٦٩٠/١.
[4] ينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ٣٤٤،
[5] المصدر نفسه: ١٤/ ٣٠٧.
[6] ينظر: المصدر نفسه، روح المعاني ٨/ ١٦٤ ، التحرير والتنوير٨ /١٧٢ .
[7] ينظر:التفسير الكبير: ١٤/ ٣١٣-٣١٤،التفسير الوسيط: ٦٩٠/١ وما بعدها، التفسير المنير: ٢٨٨/٨، التفسير الواضح: ٧٤١/١.
[8] ينظر: التفسير الكبير: ٢٩/٢٢.
[9] ينظر: تفسير الشعراوي: ٤٢٨٤/٧وما بعدها.

وأنهم كانوا لايستطيعون التميز بين السحر والمعجزات وجعلوا جملة الآيات من باب السحر(١)، فاستكبروا عن عبادة الله، وكانوا قوما مجرمين في حق أنفسهم وغيرهم مصرّين على الجرم والذنب(٢).

لم يرد مطلقا في القرآن الكريم أن مخلوقا (إستكبر بالحق)، بل يأتي الاستكبار بغير الحق وصفا للمستبدين والعالين في الأرض والذين لا يلتفتون لآيات الله عزّ وجلّ، وقد تبين مما سبق أن أقوام الأنبياء قد ابتلوا بالاستغناء بغير الحق فصرفهم الله عن قبول الحق والآيات، لأنهم استكبروا واستغنوا، ولذلك نبّه الله سبحانه وتعالى الإنسان بأخذ العبرة والعظات من الأمم السابقة الذين تجاوزا عن الحق وظلموا الناس، وحذّر من كان في قلبه ميل أو إظهار نحو التعالي على الحق، وعدم قبوله، قال تعالى:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَإِن يَرَوْاْ كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُواْ بِهَا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْاْ سَبِيلَ ٱلْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ عَنْهَا غَٰفِلِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٦ – ١٤٧]، وهذه الآية تدل على أن منشأ الإعراض عن الإيمان والإصرار على التكبر خطاب شامل يقصد به في كل زمان ومكان، وأقترن في هذه الآية مصطلح الاستكبار بالأرض بصيغة فعل المضارع حيث السيادة فيها للبشر فرادى وجماعات، وبما أن الإنسان مخلوق يعتريه الضعف، وبسبب ما يسكنه بحكم طبيعة التكوين من نزوع نحو إظهار النخوة والكبر وعدم الالتفات إلى الغير، والاستعلاء على الغير واستخدامهم وتركيعهم، ومن هذا ينشأ سائر ألوان التكبر(٣).

ثانيا: التعصب والغرور:

صفتان مذمومتان في الإسلام فقد حثنا الله عزّ وجلّ وروسوله-ﷺ-بالابتعاد عن هاتيين الصفتين، وبهما يورث الكبر وغيرها من أمراض القلوب، فهذه الصفات المذمومة من عمل الشيطان، فعندما امر الله سبحانه وتعالى الملائكة بالسجود لادم عصا ابليس أمر ربه من هنا نسي ابليس خالقه فتعصب لأصله واستولى عليه حيث اعتقد أنه أفضل من آدم، ولا ينبغي أن يصدر له أمر بالسجود لآدم، بل ينبغي أن يؤمر آدم بالسجود له، ولم يطع امر ربه لغروره؛ لأنه رأى أن النار المخلوق منها أشرف من الطين الذي خلق منه آدم، لعلوها وصعودها وخفتها،﴿ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [ص: ٧٥] (٤)، ودلت هذه الآية المشار إليها من سورة الأعراف أن إبليس فضّل نفسه على آدم بكلمة (أنا) حيث قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَٰكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَٰكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَٱهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَٱخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ ٱلصَّٰغِرِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ فجواب إبليس لربه بكلمة (أنا) في قوله تعالى: (ﭗ ﭘ ﭙ) من الإجابة تشير إلى تضخّم الـ (أنا) لديه، فـ(أنا) بكل (أنا) منه (خير) أرفع شأنا وأعلى قدراً (منه) وهذه إنما جاءت تصغيراً للشان بمقدار ما جاءت الـ (أنا) تضخيماً للأنانية الإبليسية فـ (خير منه) من هذا المخلوق الجديد الذي خلقته، وهو أدنى مني، خلقتني من(نار) و خلقته من (طين)، والنار أفضل من الطين والمخلوق من الأفضل أفضل(٥).

ومن هنا بدا نزعة الاستكبار وهي المعصية الأولى التي وقعت ومن أول مخلوق قال لله عزّ وجلّ: لا!. ويمكن القول إن صح أنّ معصية إبليس التي كان سببها الإنسان فإن جذورها هي الاستعلاء، أي أن الإنسان قد تسبّب أيضاً في إظهار نزعة الاستكبار لدى إبليس، فقد جعله الإنسان يفصح عن نزعته الاستعلائية هذه، ولسان حال إبليس يقول، استناداً إلى تضخّم حالة الاستعلاء لديه، وامتلائه بمشاعر التكبّر: أنا أعلا منه مرتبة، وبذلك لم يعصِ فحسب، بل انحرف عقائدياً. وهكذا ذهبت أدراج الرياح كل عباداته وطاعاته نتيجة تعصبه وغروره. وهكذا تكون دوماً نتيجة الكبر(٦).

ثالثاً: القوة والطموح في حب الظهور:

وينبغي لمن كانت هذه حاله أن يعلم أن القوة لله جميعًا حيث يجد المتكبر أن من حقه على المجتمع أن يمنحه الامتياز والتفوق، وأن يعترف له به. فإن لم يعترف المجتمع له بذلك، سولت له نفسه أن يستطيع أن ينال ما يطمح إليه عن طريق الاستكبار(٧)، فدلت الآية على أنّ من أسباب استكبار الملأ أنهم كانوا يرون أنفسهم أحسن من غيرهم من المستضعفين والفقراء لذلك طلبوا من شعيب أن يطردهم حتى يؤمنوا به. قال تعالى:﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِۦ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَٰرِهِينَ ﴾[الأعراف: ٨٨].

رابعاً: مبالغة الآخرين في التواضع:

قد يكون الباعث على الكبر مبالغة الآخرين في التواضع وهضم النفس، والعزوف عن التقدم لتحمل المسئولية أو تحمل الأمانة. فيرى المتكبر أن عزوف الناس عن ذلك إنما هو لإقرارهم بفضله عليهم، فلا يزال به الشيطان حتى يرى نفسه فوق

(١)ينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ٣٤٤- ٣٥٥.
(٢)ينظر: التفسير المنير: ٨٣/٨.
(٣)ينظر: التفسير الكبير: ٥٢٢/٢٧، مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم: ١٤٦.
(٤)ينظر: التفسير الكبير: ٢٠٨/١٤، تفسير الشعرواي: ٤٠٦٣/٧ وما بعدها، التفسير المنير: ٥١٧/٤.
(٥)ينظر: التفسير الكبير: ٢٠٨/١٤، موسوعة فقه القلوب: ٥٦٨/١،التحليل الروائي للقرآن الكريم:٢/ ٢٦٥-٢٦٧.
(٦)ينظر: التحليل الروائي للقرآن الكريم:٢/ ٢٦٦,.
(٧)ينظر: مفسدات القلوب: ٣٥١.

الجميع، فيحتقرهم فيقع في الكبر[١]. قال تعالى في حق قوم فرعون ﴿ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾ [الزخرف:٥٤]، حمل قومه على الذل وخفة العقل والسفه فأطاعوه وكان ذلك سببا لأن يتكبر عليم وينصب نفسه إلها لهم.

خامساً: اختلال القيم ومعايير التفاضل عند الناس:

من أسباب الكبر الباعثة عليه اختلال معايير التفاضل عند الناس، فتراهم يقدمون الغني صاحب الجاه ولوكان عاصياً فاسقاً، ويؤخرون التقي النقي لفقره وعدم وجاهته، فيكون ذلك سببا في تقديم من لا يستحق التقديم فيقع في احتقار الآخرين والترفع عليهم. وقد وضحت هذه السورة وبين سبب ذلك قوله تعالى حكاية عن المستكبرين من قوم صالح للمستضعفين منهم حيث يقول الله عزوجل في شأنهم ﴿ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِىٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ [الأعراف: ٧٥ – ٧٦] [٢]. وقد أوضح النبي-ﷺ- ذلك بمثال عملي مع أصحابه –ﷺ-، معلنا رفضه المطلق لهذا المعيار عند تقديم الناس أو تأخيرهم.

عن سَهْلِ بن سعد الساعدي-ﷺ- قال: مَرَّ رَجُلٌ على رسول اللهِ -ﷺ- فقال: **(ما تَقُولُونَ في هذا؟)**، قالوا: حَرِيٌّ إن خَطَبَ أَنْ يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ يُشَفَّعَ، وَإِنْ قال أَنْ يُسْتَمَعَ، قال: ثُمَّ سَكَتَ، فَمَرَّ رَجُلٌ من فُقَرَاءِ الْمُسْلِمِينَ، فقال: **(ما تَقُولُونَ في هذا؟)**، قالوا: حَرِيٌّ إن خَطَبَ أَنْ لَا يُنْكَحَ، وَإِنْ شَفَعَ أَنْ لَا يُشَفَّعَ، وَإِنْ قال أَنْ لَا يُسْتَمَعَ، فقال رسول اللهِ -ﷺ- **(هذا خَيْرٌ من مِلْءِ الأرض مِثْلَ هذا)** [٣].

المطلب الثالث: آثار الاستكبار على الفرد و المجتمع.

للتكبر في الأرض بغير الحق آثار ضارة ، وعواقب مهلكة على الفرد وعلى المجتمع قاطبة، فيه يهلك الخواص، وقلما ينفك عنه العباد والزهاد والعلماء، وكيف لا تعظم آفته[٤]، وقد أخبر النبي -ﷺ-: **(أنه لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر)** [٥].

وهذه الآفة العظيمة من الأخلاق الدنيئة الرذيلة الذي يجعل المرء يعيش الوهم بكل معانية، يحسب بسببه المرء نفسه في أعين الناس عظيما، وهو عندهم حقير ذليل لكبره، داء له آثاره الوخيمة المدمرة، التي من أبرزها ما يلي[٦]:

١- الحرمان من النظر والاعتبار:

أي أنَّ الأثر الأول الذي يتركه التكبر على المسلم إنما هو الحرمان من النظر والاعتبار... ومن حرم النظر والاعتبار، كانت عاقبته البوار والخسران المبين؛ لأنه سيبقى مقيمًا على عيوبه وأخطائه، غارقًا في أوحاله، حتى تنتهي الحياة.

٢- القلق والاضطراب النفسي:

ذلك أن المتكبر يريد أن يشبع رغبته في الترفع والتعالي ، وأن ينحني الناس رؤوسهم له، فيكونوا دومًا في ركابه، ولأنَّ أعزة الناس وكرامهم يأبون ذلك، بل ليسوا مستعدين له أصلًا، فإنه يصاب بخيبة أمل، تكون عاقبتها القلق والاضطراب النفسي، هذا فضلًا عن أن اشتغال هذا المتكبر بنفسه يجعله في إعراض تام عن معرفة الله وذكره، وذلك له عواقب أدناها في هذه الدنيا القلق والاضطراب النفسي.

٣- الملازمة للعيوب والنقائص:

وذلك أن المتكبر لظنه أنَّه بلغ الكمال في كلِّ شيء لا يفتش في نفسه، حتى يعرف أبعادها ومعالمها، فيصلح ما هو في حاجة منها إلى إصلاح، ولا يقبل كذلك نصحًا أو توجيهًا أو إرشادًا من الآخرين، ومثل هذا يبقى غارقًا في عيوبه ونقائصه، ملازمًا لها إلى أن تنقضي الحياة، ويدخل النار مع الداخلين.

٤- الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النَّار:

وذلك أمر بدهي، فإنَّ من يعتدي على مقام الألوهية، ويظلُّ مقيمًا على عيوبه ورذائله، ستنتهي به الحياة حتمًا، وما حصَّل خيرًا يستحق به ثوابًا أو مكافأة، فيحرم الجنة مؤبدًا أو مؤقتًا.

٥ – قلة كسب الأنصار بل والفرقة والتمزق، والشعور بالعزلة:

لأن صاحبه لا يقدر أن يحب للمؤمنين ما يحب لنفسه، فلا يقدر على التواضع، ولا على ترك الحقد والحسد والغضب، ولا على كظم الغيظ وقبول النصح، ولا يسلم من الازدراء بالناس واغتيابهم. فما من خلق ذميم إلا وهو مضطر إليه.

المطلب الرابع: حكم التكبر

التكبّر صفة منبوذه يبغضها الله ورسوله فقد قال رسول الله -ﷺ- **(لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ من كان في قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ من كِبْرٍ)** [٧]، فالكبر هي صفه لا يستحقها غير الله تعالى، أمّا جميع البشر فهم عباد الله ينبغي ان يتحلوا بالتواضع كما قال الله تعالي في حديث

---

[١] ينظر: المصدر نفسه:٣٥٢.
[٢] ينظر: المصدر نفسه.
[٣] أخرجه البخاري في صحيحه: ١٩٥٨/٥، كتاب النكاح،بَاب الْأَكْفَاءِ في الدِّينِ...،رقم الحديث: (٤٨٠٣).
[٤] ينظر: مختصر منهاج القاصدين:٢٢٨.
[٥] سبق تخريجه.
[٦] ينظر: موسوعة الأخلاق الإسلامية: ٢٤٧ وما بعدها، ومختصر منهاج القاصدين:٢٢٨.
[٧] سبق تخريجه.

قدسي: (**الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعَظَمَةُ إِزَارِي فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا قَذَفْتُهُ فِي النَّارِ**) [١]، وقد حذر سيدنا لقمان ابنه في وصاياه له حيث قال في القران الكريم: ﴿وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾﴾ [لقمان:١٨].

والآيات القرآنية والأحاديث النبوية تحدّثتا في مواطن عديدة عن هذه الصفة المذمومة، ونرى مدى رفض الدين الإسلامي للتكبر.

وحسب ما تكلمنا عن هذه الأنواع والصفات والأسباب المذكورة في البحث عن الكبر يكون الحكم على هذه الصفة الرديئة، ولابد أن يكون هناك ما يستدعي التكبر عليه، وتفصيل ذلك يتحدث عنه أبو العباس القرطبي-رحمه الله- فيقول:" لما تقرَّر أنَّ الكِبْرَ يستدعي متكبَّرًا عليه، فالمتكبَّرُ عليه: إنْ كان هو الله تعالى، أو رُسُلَهُ، أو الحَقَّ الذي جاءتْ به رسلُهُ: فذلك الكِبْرُ كُفْر. وإن كان غَيْرَ ذلك: فذلك الكِبْرُ معصيةٌ وكبيرة، يُخَافُ على المتلبِّسِ بها المُصِرّ عليها أنْ تُفْضِيَ به إلى الكُفْر، فلا يدخُلُ الجنَّةَ أبدًا. فإن سَلِمَ مِنْ ذلك، ونفَذَ عليه الوعيد، عوقبَ بالإذلالِ والصَّغَارْ، أو بما شاء اللهُ مِنْ عذابِ النارْ، حتَّى لا يبقى في قلبه مِنْ ذلك الكِبْرِ مثقالُ ذَرَّه، وخَلُصَ من خَبَثِ كِبْره حتى يصيرَ كالذَّرَّه؛ فحينئذ يتداركُهُ الله تعالى برحمتِهْ، ويخلِّصُهُ بإيمانِهِ وبركتِهْ. وقد نصَّ على هذا المعنى النبيُّ -ﷺ-في المحبوسين على الصِّرَاط لما قال: (**حَتَّى إِذَا هُذِّبُوا وَنُقُّوا، أُذِنَ لَهُمْ فِي دُخُولِ الْجَنَّةِ**) [٢]، والله تعالى أعلم"[٣]. وقد عدّ الذهبي[٤] وابن حجر[٥] أيضا هذه الصفة من الكبائر.

وبهذا ينتج لنا الحكم على الكبر أنّه ظلم في كل الاحيان، والظلم محرم في الإسلام ومن هنا نرى حرمة التكبر في شريعتنا الحنيفة.

المبحث الثالث: عواقب الاستكبار، وطريقة التجنب منها.

إن الله سبحانه وتعالى يمنح نعمه للخلق، ومن أكثر هذه النعم وأجلها، تبيان طريق الهداية والسعادة عن طريق بعثة الأنبياء والرسل-عليهم الصلاة والسلام-، فإذا تجاوزوا عن الحق واستكبروا عليهم، نزلت سنن الله مع مؤيداته العقابية لهم بالتدبير والإهلاك والإغراق وإرسال الصاعقة والخسف وغيرها. فهو سبحانه وتعالى لا يعذب أحداً إلا بعد تجاوزه، ولا ينتقم الإ ممن كفر بآياته وكذب رسله واستكبر عن أتباع سبيل الهدى[٦]. لذا احتاج البحث لبيان العقاب في الدنيا والأخرة على المستكبرين، ومن ثمّ نذكر أهم الطرق والوسائل لتجنب العقوبات، فأقتضى طبيعة هذا المبحث توزيعه على ثلاثة مطالب.

المطلب الأول: العواقب في الدنيا

في البداية نتطرق لذكر أول عقاب لكبير المستكبرين الا وهو إبليس الذي أستكبر عن أمر الله بالسجود لآدم-عليه السلام-. للتتوالى بعده مسيرة الانحراف وليطّرد معها عقاب الله وأخذه للأمم المستكبرة بالنكال والاستئصال في الدنيا وعذاب الخزي والهوان في الأخرة[٧].

أولاً: الطرد من الجنة والابعاد عن الرحمة:

أول من أخذ ونال هذا العقاب هو ابليس عندما أستكبر ورفض السجود لآدم- عليه السلام- وقد تناول سورة الأعراف ذكر العذاب الذي ناله ابليس حيث قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾﴾

وأمتناع ابليس للسجود لسبب ظهور هذه النزعة الخبيثة في نفسه وأظهره في عمله فلم يصلح لمخالطة الأعلى؛ لأن المكان مقدّس وفاضل، لذا عاقبه الله بطرده من الجنة إلى الإرض أو من الأعلى إلى الأسفل، وجعله من الصاغرين[٨].

ثانيا:الرجفة:

أنزل الله سبحانه وتعالى هذا العقاب الدنيوي على قومي صالح وشعيب – عليهما الصلاة والسلام-.

أ- قوم صالح لما أشتدّ تكذيبهم وتكبرهم عن الإيمان به، عزموا على قتل الناقة؛ لأن الناقة كانت دليل قاطع على صدق نبوة صالح فأخذتهم زلزلة شديدة فأصبحوا جامدين لقوة الصحية التي جاءت في السماء وذلك جزاء لما فعلوا بعد أن حذرهم صالح-عليه السلام-بتركها تأكل في أرض الله ما شاءت، والا يتعرضوا لها بسوء في نفسها ولا في أكلها. قال تعالى في شأنهم في سورة الأرعراف أيضا: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا النَّاقَةَ وَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يَا صَالِحُ ائْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ﴾ .

---

[١] سبق تخريجه.
[٢] أخرجه البخاري في صحيحه:٨٦١/٢، كتاب المظالم، باب قصاص المظالم، رقم الحديث: (٢٣٠٨).
[٣] المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم: ٤٩/٢.
[٤] الكبائر للذهبي: ٧٦-٧٨.
[٥] الزواجر عن اقتراف الكبائر:١١٨/١.
[٦] ينظر: مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم: ٢٦٧-٢٦٨.
[٧] ينظر: المصدر نفسه.
[٨] ينظر: التفسير الكبير: ١٤/ ٣١٣-٣١٤،التفسير المنير: ٢٨٨/٨.

ب- قوم شعيب-عليه السلام- حلّ بهم هذا العقاب أيضاً بعد أصرارهم على العناد والتمرد، ومجادلتهم لشعيب-عليه السلام- وإيذائه بالقول والفعل، فأهلكهم الله بنفس عذاب قوم صالح. ﴿ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَئِنِ اتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَخَاسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ ﴿٩١﴾ ﴾ .

ثالثاً: إنزال العذاب:

هذا الجزاء عوقب به قوم فرعون على استكبارهم وعتوهم على موسى بعد أن أختبرهم وامتحنهم بسنين الجوع ونقص الثمرات، وذلك لكفرهم وتكذيبهم بآيات الله سبحانه وتعالى، وكان ذلك بعد أن جائتهم الحسنات من عند الله فكانوا مصرين على تمرّدهم وعنادهم بإسناد هذه الحسنات لأنفسهم، وإن أصابتهم السيئات تشأموا بموسى-عليه السلام- ومن معه، وأعراضوا عن الاستجابة لدعوته، فأرسل الله تعالى على فرعون وملائه أنواع من العذاب[١]، حيث قال تعالى أيضا في سورة الأعراف﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ﴿١٣٠﴾ فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا لَنَا هَٰذِهِ ۖ وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ ۗ أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ .

رابعاً-الحرمان من الحب الألهي:

يعيش المتكبر من حرمان حب الآلهي، وهذه الحقيقة واضحة كوضوح النهار؛ لأن الله سبحانه وتعالى صرح في كتابه المجيد أنه يبغض المستكبرين والمستعلين حيث قال تعالى: ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النحل: ٢٣]. حيث أن الله سبحانه وتعالى ذكر في سورة الأعراف أن من كان في قلبه مثقال ذرة من هذه الصفة الرديئة بيختم على قلبه فلا يوفّقُ بالطاعة والتدبر في آياته الدالة على عظمته وشريعته قال تعالى:﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كُلَّ آيَةٍ لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْغَيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ ﴾ .

المطلب الثاني: العواقب في الآخرة.

سبق وأن أشرنا أن القرآن وحدة متكاملة أحيانا نحتاج لذكر بعض الآيات التي تتحدث عن الجزاء الأخروي للمتكبرين.

بعد عرضنا لتناول تلك العواقب الدنيوية لمن تكبر، وعرفنا كيف أخذوا جزائهم فخطاب الله لذكر تلك الأمم السابقة خطاب شامل يقصد به في كل زمان ومكان، ونتكلم في هذا المطلب عن العواقب التي سيحل بهم، وهم يتمنون برجوعهم للدنيا ولو لحظة لكي يعملوا بأعمال حسنة ومتواضعة ولكن حسرة لا قبل لهم بها ﴿ وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [مريم: ٣٩]. وقال تعالى:﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّا ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا ۖ وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠]. قال قتادة -رحمه الله-: "ما تمنى أن يرجع إلى أهله وعشيرته ولا ليجمع الدنيا ويقضي الشهوات، ولكن تمنى أن يرجع فيعمل بطاعة الله، فرحم الله امرءا عمل فيما يتمناه الكافر إذا رأى العذاب"[٢].

وعد الله سبحانه وتعالى المستكبرين بالعذاب الشديد المؤلم في النار حسبما يستحقون، ولا يجدون لهم من غير الله تعالى ناصرا ينصرهم أو يمنعهم من بأس الله وعذابه[٣]، حيث قال فيهم ﴿ ....وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنْكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧٣﴾ ﴾ النساء: ١٧٣.

وصف الله في آية أخرى هذا العذاب بالهون حيث ينالون الذل بسبب الاستكبار في الدنيا عن الإيمان[٤]،حيث قال: ﴿ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأحقاف: ٢٠].

---

[١] ينظر: التفسير الوسيط: ٦٤١/١، التفسير الواضح: ٦٧٩/١ وما بعدها.

[٢] تفسير البغوي: ٤٢٨/٥.

[٣] ينظر: التفسير الوسيط: ٤١٩/١.

[٤] ينظر: صفوة التفاسير: ١٨٤/٣.

وصرّحت آيات أخرى في سورة الأعراف بان العذاب هو نار جهنم، ينالها المستكبرون بسبب تمردهم قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأۡتِيَنَّكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصۡلَحَ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٣٦﴾﴾ .

وقال أيضاً: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسۡتَكۡبَرُواْ عَنۡهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمۡ أَبۡوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدۡخُلُونَ ٱلۡجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ وَكَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ . قال الرازي : " فَلَمَّا وَقَفَ اللَّهُ تَعَالَى دُخُولَهُمُ الْجَنَّةَ عَلَى حُصُولِ هَذَا الشَّرْطِ وَكَانَ هَذَا شَرْطًا مُحَالًا وَثَبَتَ فِي الْعُقُولِ ان الموقوف على المحال وَجَبَ أَنْ يَكُونَ دُخُولُهُمُ الْجَنَّةَ مَأْيُوسًا مِنْهُ قَطْعًا، وَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا بَيَّنَ مِنْ حَالِهِمْ أَنَّهُمْ لَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ الْبَتَّةَ بَيَّنَ أَيْضًا أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ النَّارَ فَقَالَ ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ وَمِن فَوۡقِهِمۡ غَوَاشٖ﴾ قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: الْمُرَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَةِ الْإِخْبَارُ عَنْ إِحَاطَةِ النَّارِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ فَلَهُمْ مِنْهَا غِطَاءٌ وَوِطَاءٌ وَفِرَاشٌ وَلِحَافٌ. "[١]

المطلب الثالث: كيفية التجنب من الاستكبار.

أن داء الكبر يؤدي إلى خسران الدين والدنيا، والتجنب من هذا الداء أمر لابد منه؛ لأنه من المهلكات ولا يخلو المرء منه، لا يزول هذا العضال بمجرد التمني بل بالمعالجة ، ولمعالجته طريقتان أحدهما علمي، والثاني عملي[٢].

الطريقة الأولى: المعالجة العلمية:

هي ان يتفكر الإنسان في معرفة نفسه ومعرفة ربه، فإنه إذا عرف نفسه حق المعرفة، علم أنه أذل من كل ذليل، ويكفيه أن ينظر في أصل وجوده بعد العدم من تراب، ثم من نطفة خرجت من مخرج البول، ثم من علقة، ثم من مضغة، فقد صار شيئاً مذكوراً، بعد أن كان جماداً لا يسمع ولا يبصر، ولا يحس ولا يتحرك، فقد ابتدأ بموته قبل حياته، وبضعفه قبل قوته، وبفقره قبل غناه. وقد أشار الله تعالى إلى هذا بقوله: ﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾ [عبس: ١٨ – ١٩] ، ثم امتن عليه بقوله: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾﴾ [عبس: ٢٠]، وبقوله: ﴿فَجَعَلۡنَٰهُ سَمِيعَۢا بَصِيرًا﴾ [الإنسان: ٢]. فأحياه بعد الموت، وأحسن تصويره، وأخرجه إلى الدنيا، فأشبعه وأرواه، وكساه وهداه وقواه. فمن هذا بدايته، فأي وجه لكبره وفخره؟، وكذلك عليهم أن يتفكروا فيما حل بالمتكبرين والمستكبرين على مر التاريخ أمثال إبليس، وفرعون، والنمرود، وقارون وكفار قريش وغيرهم ويأخذوا العبرة والعظة منهم.

وأما معرفة ربه، فيكفيه أن ينظر في آثار قدرته وعجائب صنعته، فتلوح له العظمة، وتظهر له المعرفة، فهذا هو العلاج العلمي القالع لاجتثاث أصل الكبر[٣].

الطريقة الثانية: المعالجة العملية:

أمّا هذه المعالجة فينبغي أن تكمل بالعمل، وتجرب بأفعال المتواضعين في مواقع اضطراب الكبر في النفس، وذلك بأن يمر بخمس امتحانات للنفس، وهي تدل دلالة واضحة في استخراج ما في الباطن من الكبر[٤]:

الامتحان الأول: أن يسعى للمناظرة في مسألة مع أحد أقرانه، فإن ظهر شيء من الحق على لسان صاحبه، فثقل على قلبه الانقياد له والاعتراف به، فذلك يدل على أن في قلبه كبرا دفيناً.

الامتحان الثاني: السعي لمجالسة أصحابه، والأمثال في المحافل الشرعية ويقدمهم على نفسه، ويمشي خلفهم، وعليه أيضاً أن لايجلس في صدر المجلس حتى لوطُلب منه ذلك، ويتقدم بالسلام على الغير، فإن ثقل عليه ذلك، فهو متكبر، فليواظب عليه تكلفا حتى يسقط عنه ثقله فبذلك يزول عنه الكبر.

الامتحان الثالث: أن يجيب دعوة الفقير، ويمر إلى السوق في حاجة الرفقاء والأقارب، فإن ثقل عليه ذلك، فهو كبر، فإن هذه الأفعال من مكارم الأخلاق والثواب عليها جزيل، فنفور النفس عنها ليس إلا لخبث في الباطن بإزالته.

الامتحان الرابع: أن يحمل حاجة نفسه وحاجة أهله ورفقائه من السوق إلى البيت، ولايرى امتيازاً لنفسه على الغير وغيرها من الأمور التي تزرع روح التواضع في قلب كل متكبر، فإن أبت نفسه ذلك فهو ذلك الداء العليل.

الامتحان الخامس: أن يلبس ثياباً بذلة، فإن نفور النفس عن ذلك في الملأ رياء ، وفي الخلوة كبر.

فإذا استطاع الإنسان بتجنب هذه الخصلة المذمومة وذلك بالتقرب إلى الله سبحانه وتعالى فقد قال الله في حقه في سورة الأعراف أنه من المقربين: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةٗ وَدُونَ ٱلۡجَهۡرِ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ بِٱلۡغُدُوِّ وَٱلۡأٓصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡغَٰفِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَۤ۩ ﴿٢٠٦﴾﴾ .

الخاتمة

بعد جولة مباركة في خدمة القرآن الكريم، وصلت في نهاية المطاف لكتابة هذا البحث المتواضع إلى جملة نتائج منها:-

١- ان الاستكبار هو: الامتناع عن قبول الحق تكبراً ومستعلياً ، فيتمرد بذلك على كل الأنظمة والقوانين والشرائع العقلية والاجتماعية.

---

[١] التفسير الكبير: ١٤/٢٤٠-٢٤١.
[٢] ينظر: البحر الرائق: ١٥٠-١٥١.
[٣] ينظر: المسائل في أعمال القلوب للمحاسبي: ٥٨، ومختصر منهاج القاصدين: ٢٣١-٢٣٢.
[٤] ينظر: فقه الأخلاق في علم التصوف: ٨٥-٨٦.

٢- تبين لنا أن المتكبر لايخلو من ثلاثة أنواع إما أن يكون متكبرا على الله عزّ وجلّ، وهو أفحش أنواعها، وسببه الجهل المحض، مع تشيع النفس بالطغيان، وإمّا أن يكون تكبره على الرسل –عليهم الصلاة والسلام- بأن يصرف نفسه عن الفكر والاستبصار ليبقى في ظلمة الجهل وفي ظنه انه محق، وإمّا ان يكون تكبره على العباد بان يستعظم نفسه ويستحقر الآخرين.

٣- ظهر في البحث ان التكبر على العباد إما ان يكون مستقراً في قلب الإنسان، أو أن يظهر في أفعاله، أو أن يظهر التكبر على اللسان، كالدعاوي والمفاخرة.

٤- بين البحث بعرض بعض من الصفات للمستكبرين وهم يريدون إما إن يكونوا مستعضمين أنفسهم على الاخرين،أو أن يكونوا مستبدين بآرائهم دون الالتفات للأراء، ومنهم من يستحقر المقابل و يتجاهل إنجازات الآخرين وايجابياتهم، ويحاول التقليل منها، وتصغير قدرهم، ولا يوجد هذه الصفات الا في النفوس الضعيفة الخالية من المعاني الإنسانية.

٥- الآيات التي وردة في شأن المستكبرين في سورة (الأعراف) تصل إلى (تسع آيات)، منقسمة على اربعة أقسام، الأولى يتكلم عن آيات الكبر المسبب للإعراض عن الطاعة، والثانية يتكلم عن آيات الكبر سبب في الانذار بالعذاب، والثالثة أيضاً يتكلم آيات الكبر التي تسبب بالطرد من الجنة وتكون سببا لدخول النار، والرابعة آيات التي تدل على عدم الكبر فيها من سمات المقربين. كل هذه الآيات تتكلم عن الابتعاد لهذه الصفة المذمومة المميت ، وتتحمل حامل هذه الصفة بأقصى عقوبة إما دنيوي أو أخروي؛ لأن الكبر من خصائص الله تعالى.

٦- للكبر أسباب كثيرة تعود كلها إلى أن الإنسان يتصور لنفسه كمالاً معيّناً، وبسبب حبّه لذاته، ومغالاته في تقييم نفسه، وتثمين مزاياها وفضائلها.

٧- العبد الذي يتكبر إنما يتكبر على غيره وهذا تكبر بلا مقتضي وبلا سند، فالناس سواسية مهما اختلفت درجاتهم، واختلاف الدرجات والرتب لا يخرج أحداً عن كونه إنساناً، لأنه اختلاف لا فضل له فيه.

٨- أن لهذا الداء المميت آثار وخيمة ومدمرة على الفرد والمجتمع بحيث تحول دون وصول الإنسان إلى الكمالات الظاهرية والباطنية، وإنها تبعث إلى: الحرمان من النظر والاعتبار، وإلى:القلق والاضطراب النفسي، وإلى: الملازمة للعيوب والنقائص، وإلى: الحرمان من الجنة واستحقاق العذاب في النَّار.

٩- تبين لنا أن القرآن الكريم والأحاديث النبوية حفلا بذم هذه الصفة ومن ثمّ تبين لنا أن المتكبر بغير كيف ينال جزائه في الدنيا والأخرة، وقد حرمه الشريعة الحنيفة.

١٠- التكبر مصدر أساسي لكثير من الذنوب، فمعالجة هذا المرض المزعج إنما يتم بالعلاج العلمي: وهو بأن يتفكّر الإنسان المتكبّر بحال نفسه، وبمفاسد الكبر وآثاره السلبية. والعلاج العملي: بعد أن يرى الإنسان خطورة بقاء هذه الرذيلة الأخلاقيّة على إيمانه ومصيره في الآخرة، لا بد له من السعي بجدّ للتخلص منها من خلال العمل على عكس ما تأمر به النَّفس الأمارة بالسوء.

وآخر دعوانا أنْ الحمدلله رب العالمين، وصلّى الله على سيدنا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر والمراجع

١. أبنية الأفعال دراسة لغوية قرآنية، نجاة عبد العظيم الكوفي، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع،١٤٠٩هـ/١٩٨٩م.

٢. إحياء علوم الدين، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي الطوسي، بيروت-لبنان، دار المعرفة. د.ن.

٣. البحر في الرائق الزهد والرقائق، أحمد فريد، القاهرة-مصر، دار ابن الجوزي، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٤. تزكية الأنفس، سعيد حوى، القاهرة-مصر، دار السلام، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٥. تفسير القرآن العظيم، إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي أبو الفداء، بيروت-لبنان، دار الفكر، ١٤٠١هـ.

٦. التفسير الكبير المسمى بـ(مفاتيح الغيب)،أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري،دار إحياء التراث العربي، بيروت-لبنان،الطبعة:الثالثة، ١٤٢٠ هـ.

٧. التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق -سوريا، دار الفكر المعاصر، الطبعة : الثانية ، ١٤١٨ هـ.

٨. التفسير الواضح، محمد محمود الحجازي، بيروت-لبنان، دار الجيل الجديد،الطبعة: العاشرة - ١٤١٣ هـ.

٩. التفسير الوسيط للزحيلي د وهبة بن مصطفى الزحيلي، دمشق -سوريا، دار الفكر ، ١٤٢٢هـ.

١٠. الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش، القاهرة-مصر، دار الكتب المصرية، الطبعة: الثانية، ١٣٨٤هـ/١٩٦٤ م.

١١. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، أبو المعالي محمود شكري بن عبد الله بن محمد بن أبي الثناء الألوسي (المتوفى: ١٣٤٢هـ) بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، د.ن.

١٢. الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن علي بن حجر الهيتمي السعدي الأنصاري، شهاب الدين شيخ الإسلام، أبو العباس (المتوفى: ٩٧٤هـ)، دمشق-سوريا، دار الفكر، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١٣. سنن أبي داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتاني، تحقيق:شعَيب الأرنؤوط،و محَمَّد كامِل قره بللي،دار الرسالة العالمية،(د.م)، ١٤٣٠هـ /٢٠٠٩م.

١٤. الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، بيروت لبنان، دار العلم للملايين، الطبعة:الرابعة ١٤٠٧ هـ /١٩٨٧ م.

١٥. صحيح البخاري (الجامع الصحيح المختصر)، محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي(٢٥٦هـ)، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير ، بيروت-لبنان، الطبعة: الثالثة ، ١٤٠٧ هـ/ ١٩٨٧م.
١٦. صحيح مسلم، تأليف: مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت-لبنان،دار إحياء التراث العربي، د.ن.
١٧. صفوة التفاسير،محمد علي الصابوني،القاهرة- مصر،دار الصابوني للطباعة والنشر والتوزيع، ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.
١٨. غريب الحديث، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي ، المحقق: الدكتور عبد المعطي أمين القلعجي، بيروت – لبنان،دار الكتب العلمية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٥ هـ – ١٩٨٥م.
١٩. الفروق اللغوية، أبو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، القاهرة – مصر، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، د.ن.
٢٠. فقه الأخلاق في علم التصوف،دكتور قاسم غفور حسن السيويلي،راجعه:دكتور حسن المفتي، د.م، د.ت، ٢٠١٦م.
٢١. قصص الأنبياء،أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، القاهرة-مصر، دار التأليف، الطبعة: الأولى، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨ م.
٢٢. لسان العرب، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى (المتوفى: ٧١١هـ)، بيروت، دار صادر ، الطبعة: الثالثة - ١٤١٤ هـ.
٢٣. مُخْتَصَرُ مِنْهَاجِ القَاصِدِينْ، نجم الدين، أبو العباس، أحمد بن عبد الرحمن بن قدامة المقدسي (المتوفى: ٦٨٩هـ)، قدم له: الأستاذ محمد أحمد دهمان، دمشق-سوريا، دار البيان، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
٢٤. مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين محمد بن أبي بكر أيوب الزرعي أبو عبد الله، تحقيق محمد حامد الفقي، بيروت-لبنان، دار الكتاب العربي، ١٣٩٣هـ/١٩٧٣م.
٢٥. المسائل في أعمال القلوب والجوارح، للمحاسبي،الموصل-العراق،مطبعة الزهراء الحديثية،الطبعة الثانية، ١٩٨٤م.
٢٦. معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، بيروت-لبنان، دار إحياء التراث العربي، د. ت.
٢٧. معجم اللغة العربية المعاصرة، دكتور: أحمد مختار عبد الحميد عمر (المتوفى: ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، القاهرة-سوريا، عالم الكتب، ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.
٢٨. معجم مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، بيروت لبنان، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
٢٩. المفردات في غريب القرآن، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهانى،المحقق: صفوان عدنان الداودي، بيروت-لبنان، دمشق-سوريا،دار القلم، الدار الشامية ، ١٤١٢ هـ.
٣٠. مفهوم الاستكبار والاستضعاف في القرآن الكريم، دراسة مصطلحة وتفسير موضوعي، دكتور: مصطفى أوعيشه، القاهرة-مصر، دار السلام ، ١٤٣٥هـ/٢٠١٤م.
٣١. موسوعة الأخلاق والزهد والرقائق (قصص تربوية من حياة الأنبياء والصحابة والتابعين والصالحين)، ياسر عبد الرحمن، القاهرة-مصر، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، ١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م.
٣٢. موسوعة فقه القلوب،محمد بن إبراهيم بن عبد الله التويجري،د.م،بيت الأفكار الدولية، د.ن.
٣٣. نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم - صلى الله عليه وسلم، عدد من المختصين بإشراف الشيخ/ صالح بن عبد الله بن حميد إمام وخطيب الحرم المكي، جدة- السعودية، دار الوسيلة، الطبعة الرابعة، ١٤١٨هـ.
٣٤. النهاية في غريب الحديث والأثر،مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير:(٦٠٦هـ)، تحقيق: طاهر أحمد الزاوى، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت-لبنان، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.

ملخص البحث

يحيا الإنسان في ضخم من الصراعات وأعظم ما يصارعه الإنسان عدوين بطبيعتين مختلفتين الشيطان ونفسه التي بين جنبيه فهما اللذان يدفعان بالإنسان إلى التحلي بالأخلاق الحيوانية من الطمع والحسد والكبر والغلو وغيرها.

فمنذ أن وجد الإنسان وجد معه هذا التحدي وقد أعلنها الشيطان بنفسه ﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ ﴾ [الحجر: ٣٩]، وقد حذر الله من انجرار النفس نحو الهوى وعدم تزكيتها فقال: ﴿ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴿١٠﴾ ﴾ [الشمس:١٠]، وقال أيضا:﴿ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ ﴾ [النازعات:٤٠].

ولقد ثبت أن الله خلق عباده حنفاء فاجتالتهم الشياطين وجعلوا من الإنسان مخلوقاً متمرداً على ربه منقاداً لهوى نفسه وشيطانه فنشأ من ذلك نزعة الاستكبار في الأرض والتعالي على الحق، وبرجوعنا للقرآن الكريم نجد أن الله سبحانه وتعالى حذر من التكبر وبين أسبابه ونتائجه بأساليب متعددة من النهي المباشر عن الاستكبار إلى بيان عاقبة المستكبرين فقد قص لنا الأمم الغابرة الذين تكبروا بغير الحق على الله والرسل والعباد فكان عاقبتهم وخيمة

ولذلك أمر الله سبحانه وتعالى الإنسان بأخذ العبرة والعظات من الأمم السابقة الذين تجاوزا عن الحق وظلموا الناس، ونهانا عن هذا الخُلق التي توجب سخط الله وعذابه وتكون سببا لطرد الإنسان عن رحمة الله .

Abstract

Humans live in a huge number of struggles, and the greatest thing that a person wrestles with is two enemies with two different natures Satan and himself between his sides

They are what push humans to show animal morals from greed, envy, arrogance and exaggeration and others since man has found this challenge; he has been revealed by Satan himself. **(As you tempt me to adore them on the earth and to seduce them all**) (Alhujer: 39)
Allah had warned against dragging the soul towards the passion and not recommending it, so he said: (**He was disappointed by the one who touched it**) (Alshamis: 10) and said also (**As for whoever feared the position of his Lord and forbade the soul from the passion, Paradise is the shelter**) (Alnaziaat: 40)

And it has been proven that Allah created the slave of His servants so that the demons assassinated them and made man a rebellious creature against his Lord, criticizing the whims of himself and his devil, so arising from this arrogance in the land and the Almighty over the truth. Arrogance to the statement of the consequence of the arrogant, for he has cut the old nations who had grown unjustly against Allah, the Apostles, and the servants, so their consequences were disastrous.

Therefore, Allah Almighty instructed man to take a lesson from the previous nations who transgressed the truth and oppressed people, and forbade this creation that necessitates the wrath and torment of Allah and is a reason to drive man out of the mercy of Allah.
Keywords: the holy quran, surah of aaraf, Islamic shariah.